اهداءات ٢٠٠١

الحكومة التونسية

الإعلان بأحكام البنيان

لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم اللخمي عرف
بإبن الرامي البناء

تحقيق ودراسة

فريد بن سليمان

تقديم عبد العزيز الدولاتلي

مركز النشر الجامعي

1999

المحتـــوى

1) الدراسة

- تقديم 7
- توطئة 9
- عصر ابن الرامي 11
- التعريف بابن الرامي 15
- محتوى الكتاب 19
- مصادر المؤلف 23

2) التحقيـــق

- وصف المخطوطات 28
- كتاب الابنية في الجدار 33
- كتاب نفي الضرر 57
- كتاب العيوب في الدور 102
- كتاب الغروس 158
- كتاب الأرحية 233

3) الفهـارس

- الآيات القرآنية 253
- الأحاديث النبوية 254
- الأعلام 255
- الأماكن 261
- الكتب 262
- مصطلحات البناء 265
- المتفرقات 269

4) المصادر والمراجع 271

تقديم

مما لا شكّ فيه أنّ المدينة العربيّة الاسلاميّة قد نشأت وتطوّرت على أسس المبادئ والتشريعات وهو ما أبرزته أحدث الدراسات. وقد كان الرسول(صلعم) قد أثبت بالمدينة المنوّرة العناصر الاربعة التي لابدّ من توفيرها لتكوين نواة لمستوطنة إسلاميّة : الجامع وبالقرب منه مسكن القائد والسوق وأخيرا الخطط لسكنى المناصرين من القبائل والاتباع وأعوان الدواوين ... وعلى هذا الأساس تشكل في عهد الخليفة عمر بن الخطاب عدد من الامصار كالكوفة والبصرة وفسطاط ... ولمّا أراد أبو جعفر العباسي تأسيس مدينة جديدة تستجيب لطموحاته الكبيرة وتتوفر فيها جميع مرافق العاصمة الاسلامية جمع المهندسين والبنائين وأصحاب الرأي للاستشارة فجاءت بغداد على شكل دائري يتوسطها الجامع الأعظم وبالقرب منه قصر الخليفة تحيط بهما المناطق السكنية وضبط عرض الشوارع حسب اهميتها فمنها الرئيسية ومنها الثانوية ومنها الأقل رتبة ...

ولمّا استوطن المسلمون في المدن القديمة كدمشق وتونس طوعوا تخطيطها حسب حاجياتهم ورتبوا مسالكها طبقا لمبادئهم وقيمهم فجاء نظامها الجديد ليذكرنا بنظام المدينة المنوّرة ذات الشكل الدائري المشع ذلك النظام الذي جسّمه مخطط بغداد أحسن تجسيم في أواسط القرن الثاني للهجرة. وهو كما هو معلوم تخطيط عمراني يدعّم مركزية الجامع والاسواق من جهة ويفصل بأكثر إحكام بين الوظائف والمجالات من جهة أخرى.

فكيف حافظ هذا النظام على خصوصياته طيلة ما لا يقل عن اثني عشر قرنا رغم تقلّب أوضاع الأمّة الاسلاميّة وتوالي الدول والحضارات؟ هذا السؤال يحملنا على طرح قضيّة التشريعات العمرانيّة الكفيلة بتسيير شؤون المدينة في العهد الاسلامي وقبل وجود المؤسسة البلديّة. وقد سبق للدكتور عبد الجليل النمر أن تعرّض لهذا الموضوع في كتابه "المدينة المنوّرة وأوّل بلديّة في بلاد الإسلام" حيث أفادنا بأنّ خطّة المحتسب قديمة تعود إلى عهد الرّسول (صلعم) الذي تولاها في أول الأمر بنفسه قبل أن يفوضها إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالنسبة للمدينة المنوّرة وإلى عمرو بن العاص بالنسبة لمكة. ثمّ تطوّرت الوظيفة فأنشأ ديوانا سمي بدار الحسبة أوّ من ترأسه هو الخليفة عمر بن الخطاب وأصبحت له إدارة وأعوان مختصون. وفي الاحكام السلطانية للماوردي نقرأ ما يلي: " وللمحتسب أن يمنع... من يبني في طريق سابل ويأمرهم بهدم ما بنوه ولو كان المبنى مسجدا لأنّ مرافق الطرق للسلوك لا للابنية وأن يمنع الناس من وضع الامتعة وآلات الابنية في مسالك الشوارع والأسواق إن استضر به الناس : وعلى المحتسب أن يجتهد برأيه فيما ضرّ ولم يضرّ لأنّه في الاجتهاد العرفي دون الشرعي" ويستعين المحتسب في عمله هذا برجل الشرطة إن اقتضى الحال أو بإفتاء المفتي وإن عسر عليه أمر بمقاضاة القاضي إن وجبت المحاكمة .

وكان قاضي تونس ابن عبد الرفيع في القرن السابع هجري/ الرابع عشر ميلادي يستنجد بخبير في البناء اسمه ابن الرّامي (المتوفى في سنة 734هـ/ 1334م) الذي ترك لنا هذا الكتاب القيّم أي " الاعلان بأحكام البنيان" . وهو على ما نعلم مؤلف فريد أورد لنا فيه صاحبه جمل ملاحظاته في خصوص القضايا التي تقوم عادة بين الأجوار والسكان والحلول التي اتبعت لفضها استنادا للشريعة أو العرف والعادة أو على افتاء يصدره المفتي بعد طرح القضية عليه من الوجهة الفنيّة البحتة من طرف الخبير .

بمرور الزمن وتراكم القضايا تجمعت لابن الرامي البنّاء جملة من الاحكام والفتاوى والاوضاع العرفية التي أصبحت بمثابة القوانين البلديّة فصنّفها في أبواب : الأوّل كتاب الأبنية في الجدار والثاني كتاب نفي الضرر والثالث كتاب عيوب الدور والرابع كتاب الغروس والخامس كتاب الأرحية.

ولا شك أنّ هذا المصنّف الذي أشرف على تحقيقه بكلّ جدارة الاستاذ فريد بن سليمان هو من المراجع النفيسة التي لا مناص من الرجوع إليها لمعرفة القواعد العمرانية والمعمارية إضافة إلى القيم السلوكيّة الحضرية التي تمّ بموجبها تنظيم الكيان العمراني العربي الإسلامي بناءا على العلاقات البشرية والاجتماعية القائمة في إطاره. وهو يفنّد أقاويل ومزاعم عدد من المستشرقين الذين حكموا على المدن الاسلامية بكونها عفوية وحتّى فوضوية. كما يؤكّد على ما يوليه المجتمع الاسلامي من اهتمام كبير بالمدينة كإطار مثالي للحياة الذي بدونه لا يمكن للاسلام أن يستوفي رسالته كما يمكنه أن يفرض النظام والعدالة بين البشر وأن ينشر الحضارة ويطوّر الفنون.

عبد العزيز الدولاتلي

تـــوطئـــة

" من اعتنى بالتاريخ ضمّ الى عمره أعمارا"
حسن حسني عبد الوهاب

يتميّز هذا التأليف " الاعلان بأحكام البنيان" لابن الرّامي البنّاء التونسيّ عن غيره من كتب الفقه عامة وكتب الأحكام خاصّة. وقد دفعنا هذا التميّز إلى تحقيق النصّ وفق المناهج العلميّة الدّقيقة. وبالمناسبة نتقدّم بأحرّ عبارات الشكر إلى إدارة مركز النشر الجامعي التي حرصت على نشره والى الأستاذ عبد العزيز الدولاتلي الذي تفضّل بتقديم العمل.

* فهو التأليف الوحيد - على حدّ علمنا - لحرفي وبالتحديد لأحد أمناء البنّائين بمدينة تونس في العهد الحفصي، وبالتالي ليس بقلم فقيه كما اعتدنا ذلك.

* لم يقتصر فيه صاحبه على مجرد النقل من مختلف المصادر على طريقة أهل عصره، بل وشاه بعدد هام من النوازل التي عاينها بنفسه وكان لها شاهد عيان في إطار ما كان يكلفه به قاضي الجماعة بالمعاينة وتحرير التقارير في ذلك.

* تأليف تبرز فيه مكانة الأمين على الصعيد الاجتماعي والقضائي والحرفي، فهو عنصر هام في حلّ النزاعات بين المتساكنين وركن من أركان دواليب المؤسسة القضائية آنذاك المعتمدة على الأحكام الشرعيّة والعرف والعادة واجتهاد القاضي.

* تأليف قيّم عن المدينة العربيّة الاسلامية والمبادئ التي تنظم داخلها الحياة اليوميّة والسلوكات الفردية والجماعية طبق مبدإ أساسي يستند إلى الحديث النبوي الشريف " لاضرر ولا ضرار" الذي هو بدوره قوام مبدإ نفي الضرر الذي يشكّل ركيزة الحياة الحضرية خاصة والاجتماعية عامة.

* تأليف لم يقتصر فيه ابن الرّامي عن ذكر الأحكام المنظّمة لحياة أهل المدينة فقط بل تعداها إلى ما جاورها، أي إلى ما يجري في حزام الأجنة الذي يمثّل امتدادا للمجال الحضري. وقد برز ذلك جليّا في محتوى التأليف المشتمل على خمسة أبواب هي : باب الجدار، باب نفي الضرر، باب عيوب الدور، باب الغروس وأخيرا باب الأرحية.

نرجو أن يساهم عملنا هذا في إثراء المكتبة العربية الاسلامية بنصّ طريف كنصّ ابن الرّامي في مجال العمارة وأحكامها ٪

المحقق

فريد بن سليمان

عصر ابن الرّامي

لا ننوي في هذا الباب استعراض كامل مراحل التّاريخ السياسي للدولة الحفصيّة الذي تواصل ثلاثة قرون ونصف بل التركيز على المرحلة التي عاش فيها ابن الرّامي وهي المرحلة الثانية من هذا التاريخ الطويل مع التذكير بكلّ إيجاز ببقيّة المراحل الأخرى.

1) الحياة السياسيّة :

يمكن تقسيم التاريخ السياسيّ للعهد الحفصي إلى أربعة مراحل كبرى : (1)

* المرحلة الأولى (603 ـ 675 هـ/ 1207ـ1277م) : شهدت هذه المرحلة تطوّر النظام السياسيّ الحفصيّ من الولاية إلى الخلافة، وذلك بإعلان أبي زكرياء (625ـ647هـ/1228ـ 1249م) استقلاله عن الموّحدين في بداية ولايته، وقد بدأ بعد تراجع نفوذ الموّحدين بمراكش أمام المرينيّين. ثمّ تدعّمت النزعة الاستقلاليّة في عهد المستنصر باللّه (647ـ675هـ/ 1249 ـ 1277م) لتصل إلى إعلان الخلافة في فترة كان يهدّد فيها المغول الخليفة العباسّي ببغداد، ويسجّل المسيحيون بإسبانيا انتصارات هامّة على أمراء الأندلس وكان الحكم الموحّدي يتقلّص بسرعة أمام القوّة المرينّية الصاعدة.

* المرحلة الثّانية (675ـ772 هـ/ 1277ـ1370 م) : وهي المرحلة التي عاصرها ابن الرّامي في الجزء الأوفر من حياته إلى جانب فترة الطفولة التي تزامنت مع سنوات الرّخاء والقوّة التي شهدتها المرحلة الأولى من تاريخ الدولة الحفصيّة. ففي هذه المرحلة الثّانية بلغ ابن الرّامي نضجه الفكري والمهني، إذ ارتقى فيها إلى مرتبة "أهل المعرفة" بأحوال البناء واستعان به كلّ قضاة الجماعة في عصره لمعاينة النّوازل وأصبح لديهم الرّجل الخبير بهذه القضايا لما حصلت له من تجربة مهنية، وسعة معارف بالبناء وأحكامه الفقهيّة والعرفيّة. أمّا عن سمات هذه المرحلة من تاريخ الدّولة الحفصيّة فهي نقيض المرحلة الأولى، إذ شهدت فيها الدولة مصاعب شتى وضعفا

---

(1) عن هذا التاريخ السياسي انظر خاصة

Brunschvig (R), La Berberie Orientale sous les Hafsides, tome I, Paris, 1940-47. -

-Idris (H.R), Hafsides, E.I2, III, 68-72.

- ابن خلدون، العبر، 6 : 285ـ669.

- الزركشي، تاريخ الدولتين الموحّديّة والحفصيّة، تحقيق محمد ماظور، المكتبة العتيقة، تونس، 1966.

- ابن القنفد، الفارسيّة في مبادئ الدولة الحفصيّة، تحقيق محمد الشاذلي النيفروعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، 1968.

- - ابن الشماع، الأدلة البيّنة النورانيّة في مفاخر الدولة الحفصيّة، تحقيق الطاهر المعموري، الدار العربيةللكتاب،1984.

مطّردا وفوضى عامة وانقسام النّفوذ، بإستثناء بعض الفترات القصيرة من الأمن والإستقرار كالفترة الثانية من حكم أبي يحي أبي بكر (733-747هـ/ 1332-1347م) التي تزامنت مع أواخر حياة ابن الرامي.

عاصر ابن الرّامي الفترة المضطربة للدّولة الحفصيّة في شبابه وكهولته وشيخوخته، وعرف في طفولته الإستقرار الذي شهدته إفريقية أثناء المرحلة الأولى من تاريخ الحفصيين. فعلى إثر وفاة المستنصر باللّه تعاقب على الحكم سلاطين عاجزون ضعفاء، منهم من خلع نفسه بعد فترة قصيرة من الحكم كالواثق (675-678 هـ/ 1277-1279م)، ومنهم من فرّ أمام الثوّار كأبي اسحاق (678-682هـ/ 1279-1283م)الذي فرّ من تونس تاركا الحكم لصالح الثائر ابن أبي عمارة (681-683هـ/ 1283-1284م) ومنهم من اكتفى ببسط نفوذه على الجزء الشرقي من افريقية كأبي حفص (683-694 هـ/ 1284-1295م) والتخلي عن الجزء الغربي لأمير بجاية وقسنطينة واستقلّ كل منهما بناحيته. وظلّ التنافس بين القسمين، والتّعاقب السّريع على الحكم باستثناء بعض السلاطين الذين تولّوا لفترات طويلة نسبيّا أمثال المتوكل على اللّه الذي دام حكمه ثمانية وعشرون سنة (718-747هـ/ 1318-1347م)، وقد استرجعت البلاد شيئا من قوتها، فازدهرت الفلاحة والحرف واستتّب الأمن(1).

ولا شكّ أنّه كان لهذا الأمن النسبيّ انعكاسات إيجابية على تطوّر العمران بمدن افريقية عامة وبمدينة تونس خاصّة التي توسعت عن طريق الأرباض(2). ونجد صدى في تأليف ابن الرّامي لهذا التوسّع العمراني ولهذه الأرباض التي نشأت واتّسعت على حساب المناطق الفلاحية المتاخمة للمدينة(3). أمّا بقيّة مراحل الدّولة الحفصيّة فإنّها خارجة عن اهتماماتنا المباشرة ليقيننا أن ابن الرّامي لم يدركها.

* المرحلة الثالثة : (772-834هـ/ 1370-1434م) : شهدت انتعاشة الدّولة الحفصية مع سلطانين مهابين هما : أبو العبّاس الذي حكم البلاد ما يزيد عن عشرين سنة (772-796هـ/ 1370-1394م). و أبو فارس لمدة أربعين سنة (796 - 837 هـ/ 1394 - 1434م)

* المرحلة الرابعة : عرفت فيها البلاد محنا وكوارث عديدة كطاعون سنوات 847 ،857 و872هـ (1443-1453-1468م) ومجاعة سنة 862 هـ (1458 م) التي أهلكت الكثير من سكان مدينة تونس(4). وانتهت هذه المرحلة بغزو خارجي وأخطار حدّقت بالدولة الحفصية شرقا وغربا، فتمركز الصراع الإسباني - العثماني الطّويل في البحر الأبيض المتوسط وخاصة حول مدينة تونس وأدّى إلى سقوط الدولة الحفصيّة وانضمامها الى السلطنة العثمانية.

---

(1) حسن حسني عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، 138. - (2) الدولاتلي ، مدينة تونس في العهد الحفصي، 116 - 118.

(3) انظر الفقرة 286 من التحقيق،

(4) الدولاتلي، مدينة تونس في العهد الحفصي، 64.

2) الحيـــاة الفكـريـــة :

حملت لنا بعض المصادر صدى لما عرفته الحياة الفكرية والعمرانية من ازدهار أثناء المرحلة الأولى من تاريخ الدولة الحفصية فهذا المؤرخ والجغرافي الأندلسي ابن سعيد(1) (610-685هـ/ 1213-1286م)، الذي استقر بتونس من 652 إلى 666 هـ وتولى كتابة السّلطان الحفصيّ المستنصر، يصف مدينة تونس على أنّها نظيرة مراكش ووارثتها، وقد ازدهرت بها الفلاحة والعمارة فشابهت بذلك مدن الأندلس تحت تأثير العرفاء الأندلسيين لمختلف الحرف والصنائع،"فصار فيها من المباني والبساتين والكروم ما شابهت به بلاد الأندلس.. فجلّ تماثيل البناءات والمنشآت السلطانية من أوضاع أندلسيين ووجوه صنائع الدولة كلهم من هذه الجالية (2).

حمل لنا أيضا ابن خلدون صدى تأثير الفئة المثقفةمن الجالية الأندلسيّة المهاجرة أساسا من شرق الأندلس إلى افريقية بعدد وافر بعد سقوط المدن الأندلسيّة بأيدى المسيحيين. وخلافا لفئة الحرفيين والصنّاع، الذين غفلت عن ذكرهم كلّ كتب التراجم والطبقات، فقد حظيت فئة العلماء من فقهاء وأدباء وشعراء وقضاة ورجال سياسة باهتمام مصنّفي هذه الكتب. وقد كان لهذه الفئة الاجتماعية تأثير واضح في المجال الفكري الى حدّ أنّ الخطّ وطرق الكتابة بافريقية أصبحت على الرّسم الأندلسيّ، وتلاشى بذلك الخطّ القيروانيّ والمهدويّ (3). وأثرّت أيضا هذه الجالية الأندلسية المثقفة على طرق تعليم الصبيان في مختلف دور التعليم، أي الكتاتيب والمدارس وجامع الزيتونة، فأصبحت طريقة أهل إفريقية في التّعليم أقرب إلى طريقة أهل الأندلس : إذ عن المشائخ الأندلسيين أخذ الصبيان وتعلّموا. ففي حين كانت طريقة الأفارقة تعتمد على تعليم القرآن والحديث وبعض مسائل العلوم. فقد أضافوا إلى تعليم القرآن قواعد اللغة العربيّة والخطّ والشّعر على طريقة أهل الأندلس.(4) وقد وفرّت هذه الجالية لمدارس (5) مدينة تونس و المدن الأخرى جلّ المدّرسين (6) أمثال محمد بن أحمد بن سيّد الناس العامري الأشبيليّ(7) مدرّس الحديث بالمدرسة التوفيقية التي أسستها الأميرة عطف، أمّ المستنصر، في أواسط القرن السابع الهجري، وأبو العبّاس

---

(1) Pellat (ch), Ibn Said; E. I 2, III 950 . - (2) المقري، نفح الطيب، 3 : 153. - (3) ابن خلدون، المقدمة، 157.

(4) المصدر السابق، 1040.

(5) عن هذه المدارس انظر خاصّة :

- ع. الدولاتلي، مدينة تونس في العهد الحفصي 139-141 / 193&198.

- ابن مامي، مدارس مدينة تونس من العهد الحفصي الى العهد الحسيني، أطروحة مرقونة بكلية الآداب بتونس، ثلاثة أجزاء، 1981.

- Brunschvig (R), "Quelques remarques sur les médersas de Tunisie" Revue Tunisienne, 1931, pp. 261-285.

(6) المرجع السابق، 275 - 276.

(7) انظرترجمته في الغبريني، عنوان الدراية، 291 - 297.

أحمد بن محمد القرشي الغرناطي(1) المدرّس بالمدرسة المعرضية التي بناها أبو زكرياء ابن أبي إسحاق في أواخر القرن السابع الهجري.

وعن المشائخ الأندلسيين تعلّم أهل افريقية فنّ الانشاء الذين أعجبوا به وبسجع أسلوب الكتّاب الأندلسيين حتّى أن السّلاطين الحفصيين اتخذوهم على رأس ديوان الإنشاء والرسائل. ومن بين هؤلاء الكتّاب نذكر عبد المهيمن (2) (749-676هـ/ 1348-1277 م) وخالد البلوي(3) (767-713هـ/ 1366-1313م) وابن سعيد محمد ابن أبي الحسين الذي تولى خطة العلامة في خلافة المستنصر، وغيرهم ممن ارتقى إلى خطط ومراتب عليا (4).

ونجد في مقدمة ابن الرّامي صدى لأسلوب السجع الذي برع فيه الأندلسيون ونقلوه إلى مدارس إفريقية (5).التي تعلم فيها ولا شك ابن الرامي.

وإلى جانب التّيار الأندلسي عرف عصر ابن الرّامي تيارا آخر مصدره المشرق العربي وبالأخصّ مصر بواسطة رحلات الأفارقة العلمية إلى هذا البلد. ومن بين هؤلاء الأفارقة نذكر أبا القاسم ابن زيتون(6) (691-621هـ/ 1291-1224م) الذي تولى قضاء الجماعة بتونس، وقد رحل الى المشرق مرتين في أواسط القرن السابع الهجري (الثالث عشر ميلادي) فأدرك ابن عبد السلام(7) وبعض تلاميذ فخر الدين الرازي (8) وحذق العقليات والنقليات، "ورجع إلى تونس بعلم كثير" (9). وجاء على إثر ابن زيتون من المشرق أيضا أبو عبد الله محمد بن شعيب الدكالي الهسكوري المتوفى بتونس سنة 664هـ/ 1294م، وقد أخذ عن مشائخ مصر، ورجع إلى تونس وإستقر بها للتدريس، "وكان تعليمه مفيدا" (10).

وبالاضافة إلى التيّارين الأندلسي والمشرقي عرف العهد الحفصي تطوّر الحركة الصوفيّة(11) وتعددت الزوايا مع أبي الحسن الشاذلي وأصحابه الذين بلغ عددهم حوالي الخمسين(12) أمثال علي القرجاني، ومحمد الشريف، وعلي الحطاب، وحسين السيجومي، وعائشة المنوبية...

---

(1) انظرترجمته في المصدر السابق، 347 ـ 348. - (2) انظرترجمته في مخلوف شجرة النور الزكية، 220 ـ 221.

(3) انظرترجمته في المصدر السابق، 229. -(4) عن هذه الاعلام انظر خاصة :

ـ حسن حسني عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، 138 ـ 140.

Talbi (M),"contacts culturels entre l'Ifriqiya hafside et le sultanat Nasiride"Etudes d'histoire ifriqiyenne, - 255-275.

(5) الفقرة الأولى من التحقيق. - (6) ترجمته في الوادى آشي، برنامج، 40 ـ 41.

(7) ترجمته في ابن العماد، شذرات الذهب، 5 : 301 ـ 302.

(8) ترجمته في السبكي، طبقات الشافعية، 5 : 33. -(9) ابن خلدون، المقدمة، 772. -(10) المصدر السابق 772.

(11) الدولاتلي، مدينة تونس في العهد الحفصي، 141 ـ 142.

Brunschvig (R), La Berberie Orientale sous les Hafsides, II, pp. 317-351. -

(12) المرجع السابق، 329.

عاصر ابن الرّامي إذن في أغلب مراحل حياته فترة الاضطرابات والتّراجع التي خلفت الفترة الأولى للقوة إلى حدود خلافة المستنصر. ولا شكّ أنّ لهذه الأوضاع السيّاسيّة والاجتماعية تأثيراتها على النشاط العمراني على أساس "أن البناء واختطاط المنازل إنّما هو منازع الحضارة التي يدعو إليها الترف والدعة "كما يقول ابن خلدون(1).

التعريف بابن الرّامي

إنّ ما نعرفه عن ابن الرّامي لا يتعدّى اسمه وكنيته وحرفته والفترة التي عاش فيها بدون تحديد دقيق لها، وهي مجمل المعلومات التي تناقلها بعض الدّارسين لهذه الشخصية (2). وأوّل من اهتمّ به وبتأليفه الأستاذ برنشفيك (3).

لم ترد ترجمة ابن الرّامي في أي كتاب من كتب التراجم أو الطبقات التي غالبا ما يقتصر فيها أصحابها على تراجم أهل العلم والأدب والسياسة دون سواهم (4).

فابن الرّامي هو محمّد بن إبراهيم اللّخمي ويكنى بأبي عبد الله الشهير بابن الرّامي البنّاء. عاصر بعض قضاة الجماعة بتونس أمثال الغوري الصفاقسي المتوفى سنة 699 هـ/ 1299م، وابن القطّان السّوسي، وابن عبد الرفيع المتوفى سنة 733 هـ/ 1332م ومحمد ابن الغمّاز. وقد ربطته بهم علاقة بحكم أنّه كان له النّظر في ما يحدث في الطّرق والأسواق من بنيان ويكلّفه قاضي الجماعة بمعاينة النّوازل التي ترفع إليه من المتخاصمين لما حازه من خبرة مهنية بأحوال البناء ، إذ كان ينتمي إلى مجموعة "أهل المعرفة أو البصر" الذين قال عنهم ابن خلدون : "انهم العارفون بالبناء وأحواله.. لهم البصر والخبرة التي ليست لغيرهم..."(5)، فهو إذن بمثابة ما يعرف عندنا اليوم بالخبيرالعدلي لدى المحاكم.

هذا كلّ ما نعلمه عن ابن الرّامي. وهو ضئيل جداً فما نجهله عنه يفوق بكثير ما نعرفه. لذا حاولنا أن ندفع بالبحث بواسطة بعض الافتراضات.

---

(1) ابن خلدون، المقدمة، 609.

(2) - أبو بكر عبد الكافي، "الإعلان بأحكام البنيان"، مجلة الفكر، أكتوبر 1967، ص50 - 54.
- محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، 2 : 336 - 337.
- الزركلي، الأعلام، 6 : 183.
- كحالة، معجم المؤلفين، 8 : 213.
Brunschvig (R), "Urbanisme médieval et droit musulman". Revue des études Islamiques, 1947, pp 127-155.

(4) Talbi (M),"Contacts culturels..."p.226.

(5) ابن خلدون، المقدمة، 728 - 729.

واولّها حول تسميته بابن الرّامي، ولعلها نسبة للرمي بالنّبال(1). فقد أشارت بعض المصادر أن الجيش الحفصي كان يضمّ عناصر مختصة في الرمي بالنّبال يعرفون بالرماة، وقد لعبوا دورا هاما خاصة في حصار المدن(2) أو الدّفاع عنها أو مهاجمتها حتى أنّ عددهم بلغ عند حصار الصلبيين لتونس سنة 668هـ/ 1270م أربعين ألفا(3). كما تشير بعض المصادر أن جلّ رماة الجيش الحفصي كانوا من الأندلسيين(4) الذين كانوا يكوّنون بتونس جالية هامّة في ذلك العهد وقد توافدوا عليها على إثر سقوط المدن الأندلسية الواحدة تلو الأخرى بأيدي النّصارى(5). فلعلّ والد المؤلف كان من بين هؤلاء الرماة الأندلسيين في صفوف الجيش الحفصي ولعله قد برع في الرماية حتى عرف بها ومن بعده عرف ابنه بابن الرّامي وهي الفرضيّة الأولى حول التّسمية والأصل. ولعل هذا أيضا ما دفع بعض المؤرخين بالقول أنّ ابن الرّامي أندلسي الاصل بدون ذكر ما يدعم ذلك (6). ولعلّه هو أيضا ما يفسر ذكر نسبة الأندلسي في بعض النسخ المخطوطة التي ورد فيها اسم المؤلف على النحو التالي : "محمّد بن إبراهيم اللّخمي عرف بابن الأندلسيّ عرف بابن الرّامي" (7).

ومهما يكن هذا الأصل، فإنّنا متيقّنون أنّ ابن الرّامي عاش بمدينة تونس معظم حياته إن لم نقل كلّها فاعتبر من أهالي هذه المدينة(8) ونسب إليها، فأضاف بعض النّساخ إلى اسم المؤلف نسبة التونسي(9). ولعلّ والده أيضا كان هاجر إليها وإستقرّ بها، في حين إستقرّ غيره من الأندلسيين المهاجرين في بقية مدن إفريقية والمغرب الأقصى خاصّة المدن السّاحلية القريبة من الأندلس مثل سبتة، التي كان جلّ أهلها من الأندلسيين وقد برعوا في الرماية، وتميّزوا عن غيرهم بهذا الفنّ، فحمل بعض سكانها لقب ابن الرّامي، وعرفت كذلك إحدى مقابر سبتة بمقبرة ابن الرّامي(10).

أمّا الفرضيّة الثانية فتهم الحرفة. فهو بنّاء، وهوقد استعرض في تأليفه "الإعلان بأحكام البنيان"خبراته وبرهن على أنّه كان بحق بنّاء ماهرا وعارفا بكنه هذه الصناعة وأساليبها وطرقها فمكنّه ذلك أن يصبح من عرفاء البنّائين. وقد حملت لنا بعض المصادر صدى ما كان للعرفاء الأندلسيين بتونس وبمراكش من قبلها من صيت، فأثّروا في هاتين المدينتين تأثيرا واضحا على مستوى المظهر الحضري(11). فهل يمكن القول أنّ ما ساعد ابن الرّامي على الارتقاء إلى مرتبة العريف أصله الأندلسيّ، إذا ما ثبت هذا الأصل ؟

---

(1) السيوطي، لبّ اللباب في تحرير الأنساب، 113 /ابن منظور، لسان العرب، 2 : 254.

(2) ابن القنفذ، الفارسية في مبادىء الدولة الحفصية، 132 ـ 157 ـ 171 ـ 182 ـ 191 ...

(3) المصدر السابق، 132 – (4) الزركشي، تاريخ الدولتين، 65. – (5) الدولاتلي، مدينة تونس في العهد الحفصي، 89 ـ 90.

(6) Levi-Provençal, Histoire de l'Espagne musulmane, III, 308.

(7) انظر الورقة الأولى من المخطوط رقم 14884 بالمكتبة الوطنية بتونس

(8) Brunschvig (R), "Urbanisme médiéval et droit musulman," p. 129.

(9) انظر الورقة الاولى من المخطوط رقم 4383 بالمكتبة الوطنية بتونس وليس بها اسم الناسخ، ولا تاريخ النسخ.

(10) الأنصاري، اختصار الأخبار، 166 ـ 169. – (11) المقري، نفح الطيب، 3 : 153.

أمّا عن مراحل حياة ابن الرّامي فإننا لا نكاد نعرف عنها شيئا. فنحن نجهل تاريخ ولادته و وفاته ومكانهما. كما نجهل إذا ما أقام طيلة حياته في مدينة تونس أو سكن في فترة ما من حياته غيرها من المدن خاصّة وأنّ طبيعة عمله تستوجب التّنقل، فهو قد يطلب للعمل في أنحاء البلاد بحكم شهرته وسعة خبراته في البناء. وبتأليف ابن الرّامي صدى لذلك فهو يذكر وجوده مرّة بالقيروان "بسبب حاجة" دون ذكرها(1). كما نراه أيضا مرة أخرى بمدينة سوسة ولا ندرى اذا ما كان تواجده هناك مؤقتا أو اقامة دائمة. ولكن ما يلفت النّظر أنّ قاضي هذه المدينة يستدعي ابن الرّامي ويستشيره في مسألة تتصل بضرر ميزاب مياه الأمطار فيحكم القاضي فيها بما رآه ابن الرّامي (2). فهذه الواقعة تدعو الى التساؤل : كيف أمكن للقاضي معرفة ابن الرّامي وخبراته ان لم تكن إقامته بسوسة لأمد طويل مكنت هذا البنّاء من ان يصبح ذائع الصيت في مدينة كان لها ولا شكّ بنّاؤوها الأكفاء. لم يذكر ابن الرّامي اسم القاضي ولعلّه ابن القطان السوسي الذي سيطلب فيما بعد لقضاء الجماعة بتونس سنة 701 هـ/ 1301 م ويتّخذ أنذاك من ابن الرّامي عونا له لمعاينة النوازل فيكون بذلك اختياره له بتونس امتدادا للعلاقة التي ربطته به في سوسة وقد اختبر بعد قدراته المهنيّة وسعة معارفه بأحكام البنيان.

ولتقصي بعض مراحل حياة ابن الرّامي حاولنا استغلال المعلومات المقتضبة جدّا عن قضاة الجماعة الذين عاصرهم المؤلف وهم على التوالي :

- أبو بكر الغوري الصفاقسي : تولّى قضاء الجماعة بتونس وتوفى قاضيا سنة 699 هـ/ 1299 م (3) دون أن تذكر المصادر تاريخ أوّل ولايته. ولعلّه تولاّها بعد وفاة القاضي أحمد ابن الغمّاز المتوفّى 693 هـ/ 1293 م إذا لا يشير أي مصدر إلى قاض آخر بين التاريخين خاصّة وأنّ ظروفا ملائمة حفت بالغوري وقد تكون ساعدته على أن يخلف ابن الغمّاز: فمن ذلك نذكر إرتقاء أبي عصيدة (4) إلى الحكم سنة 694 هـ/ 1294م وهو الذي ولد بزاوية الشيخ أبي محمد المرجاني (5)، ونحن نعلم أنّ الغوري كان بدوره صديقا حميما للشّيخ المرجاني، فلعلّ هذه الصّلات قد لعبت دورها في اختيار الغوري. لكن مهما يكن من أمر فإن اسم ابن الرّامي قد برز بعد منذ ولاية الغوري وذاع صيته بين أهل حرفته وإن لم يرتق بعد إلى مرتبة عريف، إذ يذكر لنا أنّه رافق جماعة من أهل المعرفة أو البصر، لمعاينة ماجل تنازع فيه شخصان فنزل إليه بعضهم وكان معهم ابن الرّامي وأضاف قائلا : "ولم يكن لي معهم نظر" (6).

---

(1) انظر الفقرة 285 من التحقيق.-(2) انظر الفقرة 287 من التحقيق.

(3) الزركشي، تاريخ الدولتين، 54 ابن القنفذ، الفارسية، 153.

(4) حكم أبو عصيدة من 694 إلى 709 هـ/ 1294 -1309 م.

(5) أحد أعلام التصوف في العهد الحفصي، توفي سنة 699 هـ/ 1299 م.

(6) انظرالفقرة 279 من التحقيق.

- أبو اسحاق ابراهيم بن عبد الرفيع(1) : تولّى قضاء الجماعة لأوّل مرة بعد وفاة الغوري سنة 699 هـ/ 1299 م وتداول على هذه الخطّة خمس مرات بصفة متقطعة وعلى فترة طويلة امتدت من 699 الى 733 هـ تاريخ وفاته (1299 - 1334 م) ولذلك يصعب تحديد كلّ فترة من هذه الفترات الخمس. فالولاية الأولى كانت من 699 هـ الى 701 /1299 - 1301م(2) ثم نراه قاضيا من جديد سنة 711 هـ/ 1311 م(3) ليسجن فيما بعد بالمهدية مدة ثلاث سنوات بأمر من الأمير الحفصي محمد أبي ضربة ابن زكرياء(4) في بداية عهده حوالي 718 هـ/ 1318 م..

وخلافا لفترة الغوري الصفاقسي فقد حصل في فترة قضاء ابن عبد الرفيع تحوّل هام في حياة ابن الرّامي، وهو ارتقاؤه إلى مرتبة أهل المعرفة اذ أصبح له النّظر في الطّرق والأسواق بتكليف من القاضي. لكن يصعب تحديد تاريخ هذا التحوّل بكلّ دقّة نظرا لطول فترة قضاء ابن عبد الرّفيع من ناحية ولتقطّعها من ناحية أخرى، لكن يبدو أن هذا التحوّل تمّ بعد 701 هـ/ 1301 م أي بعد ولاية ابن عبد الرفيع الأولى للقضاء التي دامت حوالي سنتين والتي تمت بعزله وتعيين قاض جديد هو ابن القطان.

- أبو زيد عبد الرحمان بن القطّان : من فقهاء سوسة، تولّى قضاء الجماعة بتونس سنة 701 هـ/ 1301 م، ولا نعرف تاريخ انتهاء ولايته، ولعلّه بقي بها على أقصى تقدير إلى حدود 711 هـ/ 1311 م تاريخ رجوع ابن عبد الرّفيع إلى القضاء. ومهما يكن من أمر فإنّ ابن الرّامي أصبح له النّظر في الطرق منذ ولاية ابن القطان ويعدّ من بين أهل المعرفة في صناعة البناء (5). وقد اكتسب بعد ولا شك الخبرة المهنية الكافية والنضج الفكري اللّذين يؤهّلانه للارتقاء إلى مرتبة "أهل البصر". وقد حافظ على هذه المرتبة مع القضاة الذين جاؤوا بعد ابن القطان كابن عبد الرفيع وابن الغمّاز.

- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الغمّاز : هو ابن قاضي الجماعة أبي العباس أحمد بن الغمّاز البلنسيّ (ت 693هـ/ 1293م)(6). تولّى ابنه محمد قضاء الجماعة سنة 718 هـ/ 1318 م بعد أن رفض هذا المنصب أشخاص كثيرون(7)، ولعلّهم اتّعظوا بما حصل لإبن عبد الرفيع مع الأمير أبي ضربة. ويبدو أنّ ابن الغمّاز بقي بمنصب قضاء الجماعة على الأقل إلى حدود 725 هـ/ 1325م تاريخ مرور الرحالة ابن بطوطة بتونس اذ ذكره ضمن من لقيهم بها(8). أما ابن الرّامي فقد واصل النّظر في الطّرق ومعاينة النوازل في ولاية ابن الغمّاز وبالتالي يمكن أن نجزم أنّ ابن الرّامي باشر هذه الخطّة بدون انقطاع على الأقل من 701 هـ إلى 733 هـ تاريخ وفاة ابن عبد الرفيع. ومهما يكن من أمر فإنّ جوانب عديدة من شخصية ابن الرّامي بقيت إلى يومنا هذا مجهولة.

---

(1) محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، 2 : 336. -(2) الزركشي، تاريخ الدولتين، 54 -(3) المصدر السابق، 61
(4) المصدر السابق، 62 -(5) انظر الفترتين 13 - 28 من التحقيق. -(6) محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، 3 : 464 - 467
(7) الزركشي، تاريخ الدولتين، 67 -(8) ابن بطوطة ، الرحلة، 17.